مجلة العلوم والبحوث الإسلامية
SUST Journal of Islamic science and Research
Available at:http://scientific-journal.sustech.edu/

الإحالة وأثرها في التماسك النصي ـ دراسة تطبيقية في كتاب (علل النحو لابن الورّاق)

محمد داؤد محمد [1] – عثمان إبراهيم يحيى [2] – بابكر علي إبراهيم [3]

المستخلص:

تناول البحث الإحالة وأثرها في تماسك النّص في تعليل قضايا النحو وموضوعاته عند ابن الورّاق، وهو يهدف إلى الوقوف على الإحالة التي بها يتحقق الاتساق النّصي وتلاحمه في التعليل النّحوي، وبيان أهميتها في الدرس اللساني النّصي ، بواسطة الوسائل اللغوية التي تربط عناصر النّص، والكشف عن أقسامها وعناصرها وبيان أدواتها ودورها في إحداث التماسك والتراصف النّصي ، انطلاقاً من الشواهد المنتقاة من كتاب علل النّحو للورّاق. اتبعت الدراسة في ذلك المنهج الوصفي ، وتوصلت إلى نتائج أهمها: أن الإحالة وأدواتها لها وظيفة كبرى في ربط الجمل بعضها ببعض ، مما يؤدي إلى إحكام بنية النّص ، وأوصت الدراسة بالمزيد من البحث في أدوات الاتساق الإحالية ، وتسليط الضوء عليها في كتاب الورّاق ، ربطاً للتراث العربي بالدراسات المعاصرة.

ABSTRACT:

This research has tackled the reference and its effect in text cohesion with respect to reasoning of syntax issues and its topics by Ibn al-Waraag. It aims to make aware of reference which resulted in achievement of text cohesion, its role in syntactic reasoning and its significance in textual linguistics by linguistic means which connect elements of text as well as identifying types, elements, tools, its role in attainment of text cohesion and intertextuality based on examples extracted from Problems of Syntax Book by al-Waraag. The study employed descriptive approach. A number of results were reached by the study; some of the most important ones were: reference and its tools have remarkable role in connecting sentences with each other which resulted in good text construction. The study recommended that more researches on cohesion's reference tools as well as highlighting their sluts in the Book of Problems of Syntax by Ibn al-Waraag in order to link Arabic legacy with contemporary studies.

الكلمات المفتاحية:

التعليل – الاتساق – التراصف النّصي .

1- كلية اللغات، قسم اللغة العربية- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

2- كلية اللغات، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، هاتف: 0122127082

3- طالب دراسات عليا – جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة:

نشأ التعليل النّحوي وترعرع منذ أن نشأت الدراسات النّحوية ، ومن الطبيعي أن يُنسب التعليل إلى علماء العربية الأوائل، وأن يكون التعليل مرافقاً للحكم النّحوي منذ وُجد النحو ، ورأينا أنّ ابن الورّاق قد اهتمّ بالعلل النحويّة ، وهو من علماء العربية الأوائل الذين بحثوا الظواهر اللغوية في التماسك النّصي ، التي تناولتها الدراسات النّصية الحديثة ، ويزخر كتابه (علل النّحو) بكثير من أدوات الاتساق النّصي مثل: (الإحالة) ، وتعدّ ظاهرة لغوية تتعلق بترابط النّص ، ويكاد يسمى علم النّص بعلم الإحالة ، وقديماً نجد الإحالة أسهمت إسهاماً كبيراً في التحليل النّحوي ، ولاقت اهتماماً واضحاً عند النحاة العرب ، فقد بنوا تعليلهم النّحوي عليها ، وخاصة ابن الورّاق في حديثه عن علل النّحو، ونهدف إلى الكشف عن دور أدوات الإحالة في التعليل النّحوي عند ابن الورّاق ، وسنستدل ببعض النماذج من الإحالة عند ابن الورّاق. وإيماناً منّا بأن نحويات النّص علم متطور، ولم نجد في حدود معرفتنا من أشار إلى اكتمال هذا العلم، وهذا يفتح الباب أمامنا للبحث في جواهر العلوم، لذا أردنا هذه الدراسة أن تكون لسانيّة نصيّة نحويّة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

1 . الوقوف على الإحالة وبيان مضمونها.

2 . بيان أدوات الإحالة ، وأثرها في التماسك النّصي في كتاب علل النّحو لابن الورّاق.

3 . الكشف عن العناصر الإحالية في كتاب العلل.

تمهيد:

ابن الورّاق: هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن العباس ، البغدادي ، عاش في القرن الرابع الهجري[1] ، ولم نجد في حدود معرفتنا من ذكر تاريخ ولادته في كتب التراجم.

آثاره: ترك ابن الورّاق مصنفات في النّحو واللغة منها: كتاب الفصول في نكت الأصول ، والهداية ، ومنهاج الفكر في الخيل ، وشرح كتاب سيبويه. [2]

أما أشهر تصانيف ابن الورّاق فكتاب (علل النّحو)[3] الذي هو مدار هذه الدراسة ، وتأتي أهمية هذا الكتاب لأن مؤلفه خصّه من بين كتبه بهذا الاسم ، وتصدى لأهمّ وأخطر ظاهرة نحويّة في تاريخ اللغة العربية ألا وهي ظاهرة (التعليل). [4]

منهجه: كان ابن الورّاق ذا نزعة بصرية في آرائه ومنهجه ، اهتمّ بالقياس والتعليل[5] ، وقد انتهج منهج سيبويه في تعليلاته.

وفاته: أجمع المترجمون لابن الورّاق على أنّ وفاته كانت سنة (381هـ).[6]

الدراسات السابقة: هناك عدة دراسات تطبيقية تناولت مصطلح الإحالة بالوصف و التحليل ، مع اختلاف مجالات التطبيق، وقد وقفنا على بعض الدراسات التي لها علاقة وصلة بموضوعنا حسب أهميتها. ومنها:

1- الدراسة الأولى : الإحالة وأثرها في دلالة النّص وتماسكه :

هذه الدراسة ورقة بحثية أعدّها الدكتور محمد محمد يونس علي، في جامعة إدنبرا – بريطانيا ، ومن أهدافها تقنية سمة التماسك من خلال البحث في الوسائل التي يعتمد عليها المتكلّم في ربط أجزاء النّص بعضه ببعض ، ومن

([1]) بسّام عبد الوهّاب الجابي(1987م) مُعجم الأعلام: معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء، الجفان والجابي، للطباعة والنشر، ص737

([2]) الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن(1998م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، مدينة النصر، القاهرة، ص291. عمر رضا كحالة،(د.ت) مُعجم المؤلفين، تراجم مُصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ص221.

(3) الوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف (1986م) إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمود أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر ، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت– لبنان، ص165.

(4) الوراق، أبوالحسن محمد بن عبدالله(2008م) علل النحو، تحقيق: محمود محمد محمود نصّار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 69

(5) المرجع نفسه ، ص21–22 .

(6) أبو البركات الأنباري ، نزهة الألباء ، مرجع سابق ، ص231.

أهمّ نتائجها: أنّ الإحالة بوصفها أهمّ العلاقات التي تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض وتعمل على تماسكها.[7]

2- الدراسة الثانية : الإحالة النصيّة وأثرها في تماسك النّص في القصص القرآني :

هذه الدراسة ورقة بحثية أعدّها الأستاذ عبد الحميد بوترعة ، مجلة الأثر – أشغال الملتقى الوطني حول : اللسانيات والرواية، جامعة الوادي – الجزائر ، وتهدف الدراسة إلى البحث في الكيفية التي بها يتماسك النّص القرآني، ومن أهمّ النتائج التي توصّلت إليها: أنّ الإحالة تقوم بدور أساسي في ربط أجزاء الجملة الواحدة من ناحية ، وربط عدة جمل بعضها مع بعض ، بحيث يتكوّن نصّ أو خطاب شامل.[8]

3- الدراسة الثالثة : الإحالة في ضوء لسانيات النّص وعلم التفسير من خلال تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير:

هذه الدراسة رسالة ماجستير أعدّتها الزهرة توهامي، في معهد الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي – الجزائر، وتناولت هذه الدراسة ظاهرة الإحالة كأداة للتماسك النّصي بين علم اللغة وعلم التفسير ، وتهدف هذه الدراسة إلى تحليل ظاهرة الإحالة من خلال العناصر الآتية: ما هو المفهوم المرتبط بهذه الأداة في الدراسات المعاصرة والتراثية ؟ كيف حققت الإحالة التماسك النّصي في القرآن الكريم من منظور ابن عاشور؟[9] ومن أهمّ النتائج التي توصّلت إليها الباحثة: تعدّ الإحالة من البدائل المهمة في تحقيق الكفاءة النّصية، والمقصود بهذه الأخيرة أكبر قدر من المعلومات بإنفاق أقلّ قدر من الوسائل. وهو ما سماه ابن عاشور استناداً إلى البلاغة العربية – بالإيجاز.[10] وما نريد أن نوضّحه هنا أنّ جلّ الدراسات التي تناولت ظاهرة الإحالة ركّزت على دورها المهم في تحقيق خاصيتها الأولى ، وهي التماسك الشكلي والدلالي في النّص.

مفهوم الإحالة:

الإحالة لغة: هي: من مصدر الفعل (أحال) بمعنى تغيّر وتحوّل، و"حال الرجل يحُول مثل تحوّل. وحال الشيء نفسه يحُول حَولاً بمعنيين تغيُّراً، ويكون تحوُّلاً"[11]. و"أحال الشيء: تحوّل من حال إلى حال..."[12].

اصطلاحاً: أما الإحالة اصطلاحاً فيعرفها روبرت دي بوجراند بأنّها: العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نصّ ما إذ نشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النّص"[13]

ويمكننا تعريف الإحالة بأنها: (علاقة بين عنصر لغوي وآخر لغوي أو خارجي ، بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني؛ ولذا فإن فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نصّ ما، يقتضي أن يبحث المخاطب في

([7]) محمد محمد يونس علي(2009م) ، ورقة بحثية (الإحالة وأثرها في دلالة النّص وتماسكه) ، جامعة إدنبرا- بريطانيا، يونيو.
Arabic wA:A...conflict in pragmatic pri conjunction

([8]) عبد الحميد بوترعة(2012م) ، ملخص ورقة بحثية (الإحالة النّصية وأثرها في تماسك النّص في القصص القرآني) ، مجلة الأثر- أشغال الملتقى الوطني حول: اللسانيات والرواية ، جامعة الوادي – الجزائر ، ص 88

([9]) الزهرة توهامي(2011م)، الإحالة في ضوء لسانيات النّص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور، المركز الجامعي أكلي محند أولحاج ، البويرة – الجزائر ، ص 7- 8.

([10]) المرجع نفسه ، ص 15.

([11]) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (2010م)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت، ص187.

([12]) الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني(1993م) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي ، ج28، التراث العربي ، وزارة الإعلام الكويت ، ص 365 – 366.

([13]) روبرت دي بوجراند (1998م) النّص والخطاب والإجراء ، ترجمة: د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ص320 .

مكان آخر داخله أو خارجه. وتتحقق الإحالة بالضمائر بأنواعها، وأسماء الإشارة، والمقارنة، والموصولات) .[14]

ويُجدر بنا أن نشير إلى أنّ اللغة تشتمل على نوعين من العناصر: إشارية وإحالية، وهما يمثلان ركني الإحالة الأساسيين.[15]

أ/ العناصر الإشارية:

هي:" كل ما يشير إلى ذات أو موقع أو زمن إشارة أوليّة لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة؛ فيمثل العنصر الإشاري مَعْلماً لذاته، لا يقوم فهمه أو إدراكه على غيره" ويشمل العنصر الإشاري: [16]

– لفظاً مفرداً دالاً على حدث أو ذات، أو موقع في الزمان، أو المكان.

– جزء من الملفوظ، أو الملفوظ كاملاً.

ومن هنا نرى أن مفهوم الإشارة هو مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث يُنجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه؛ من ذلك:

"الآن"، "هنا"، "هناك"، "أنا"، "أنت"، "هذا"، "هذه".

و"ينحصر دور هذه العناصر في تعيين المرجع الذي تشير إليه. وهي بذلك تضبط المقام الإشاري ،... "[17].

وكلّ عنصر لا يرتبط في فهمه بغيره، وإنّما معناه في ذاته، ويتمّ تحديد معناه إمّا بالرجوع إلى موقعه في الخطاب، وإمّا بالنظر إلى موقع الذات المتكلمة.

ب/ العناصر الإحالية:

تُطلق تسمية "العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة، بل تعود على عنصر من عناصر أخرى، مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب.

فشرط وجودها هو النّص ، وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[18] فالعنصر الإحالي غير ذات معنى في ذاته، ويرتبط في فهمه بغيره ، ويتمّ تحديد معناه بالرجوع إلى عنصر آخر يفسره. ومن أمثلة ذلك قولنا: عاش ابن الورّاق في القرن الرابع الهجري إنّه عالم في النّحو وله اهتماماته بالتعليل النّحوي. فالعنصر الإحالي في هذا المثال هو ضمير الغائب "الهاء" المتّصل في "إنّه" "له" "اهتماماته" إذ لا يمتلك هذا العنصر دلالة مستقلّة، وإنّما يكتسب معناه من ارتباطه بما سبقه وهو "ابن الورّاق" الذي يعدّ عنصراً إشارياً يدلّ على ذات.

فالعناصر الإحالية لا يدرك المتلقي دلالتها إلا باستحضار ذلك المشار إليه، سواء بما عُهد من معلومات بينه وبين المتكلّم أم يدركها حسيّاً. فمثلاً: "لو أنّ شخصين ينتظران في موقف للركاب، واعتادا أن يركبا نفس الحافلة، وقال أحدهما: لقد تأخرّت. فإنّ الآخر سيدرك لا محالة أنّ المقصود هو الحافلة المعهود انتظارها لا حافلة أخرى". [19]

أمّا الإدراك الحسي فيكون عن طريق الحواس كالمشاهدة، واللمس وغيرها، فلو أنّ شخصاً يحمل بيده كتاباً وسأله آخر: ما ذلك بيدك؟ فسيجيب بأنّه كتاب مدركاً له إدراكاً حسيّاً"[20]

ومن هنا ندرك أنّ العناصر الإحالية لا تُفهم إلا إذا ارتبطت بالعنصر الإشاري، فهي تقوم بوظيفة إبراز وتعيين المشار إليه من جهة وتعويضه من جهة أخرى.

وتعتبر الإحالة علاقة دلالية، ومن ثم لا تخضع لقيود نحويّة، إلا إنّها تخضع لقيد دلالي وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر

([14]) عبد الحميد بوترعة (د.ت) مجلة الأثر ، الإحالة النّصية وأثرها في تماسك النّص في القصص القرآني ، ص 88

([15]) الأزهر الزنّاد (1993م) نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء، ص115

([16]) المرجع السابق ، ص116

([17]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق، ص 115 – 116.

([18]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 118

([19]) الزهرة توهامي ، الإحالة في ضوء لسانيات النّص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير مرجع سابق ، ص 29

([20]) المرجع السابق ، ص 29

المحال إليه"[21] والترابط الإحالي في الأصل ربط دلالي، وتقوم الإحالة على نوعين من الربط الدلالي.

ربط دلالي يوافق الربط البنيوي (التركيبي).

ربط دلالي إضافي يمثل الإحالة وهو الربط الإحالي.

وهذا الربط الدلالي هو الذي يمدُّ جسور الاتّصال بين الأجزاء المتباعدة في النّص، وعلى هذا الأساس تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النّص، فتجتمع في كل واحد عناصره متناغمة[22].

عناصر الإحالة:

تتنوّع عناصر الإحالة فتكون كما يلي :

1/ المتكلّم، أو الكاتب، أو صانع النّص: و"بقصده المعنوي تتمّ الإحالة إلى ما أراد"[23] وعلى هذا فإنّ "للمتكلم أو الكاتب الحقّ في الإحالة حسبما يريد هو وعلى المحلل أن يفهم كيفية تلك الإحالة حسب النّص و المقام[24] ، ولما كان منتج النّص يريد أن يضمن أن ترجع التعبيرات المختلفة (التي يمكن دون شك أن تكون لها دلالات متباينة) إلى صاحب الإحالة ذاته، وأنّه على هذا النّحو يُتوصّل حقيقة إلى علاقة التحاول "الإحالة المشتركة"[25].

ومن أمثلة الإحالة المشتركة قول ابن الورّاق :إن الفعل الماضي "يقع موقع المضارع في الشرط ، كقولك: إن ضربتَ ضربتُ، فهو بمنزلة: إن تضربْ أضربْ"[26]، فالضمير الظاهر تاء المخاطب وتاء الفاعل، والضمير المستتر أنت وأنا، كلها ترجع إلى صاحب الإحالة ذاته، ونرى أن هناك دلالة متباينة في الضمائر بين المثالين، فالمثال الأول يدلّ على وقوع الحدث في الزمن الماضي، وأمّا المثال الثاني فيدلّ على وقوع الحدث في الحال.

2/ اللفظ المحيل: (العنصر الإحالي)

وهو "كل مكوّن يحتاج إلى فهمه إلى مكوّن آخر يفسره، وهو يمثل أبسط عنصر في بنية النّص الإحالية"[27]، وهو "مكوّن يعوّض مكوناً آخر ذُكر في موضع آخر سابق عادة، ويتيّسر هذا التعويض بعمل الذاكرة في محتواها المشترك بين طرفي التواصل، وهو صدى لغيره من المكونات، إذ لا يُفهم إلا بالعودة إليها، ثم هو يطابقها في عدد من السمات التركيبية والمقولية مثل: الجنس والعدد"[28].

ومعنى هذا أن العنصر الإحالي يرتبط بغيره في فهمه، وهو الذي يحوّلنا ويغيّرنا من اتجاه إلى اتجاه، إمّا داخل النّص وإمّا خارجه. ومن المحيلات: "الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة"[29]، وتسمى "صيغ الإحالة"[30].

3/ المحال إليه: (العنصر الإشاري)

ويُطلق عليه "عنصر علاقة"[31] وهو "كل مكوّن لا يحتاج في فهمه إلى مكوّن آخر يفسره"[32]، وهو "موجود إمّا خارج النّص وإمّا داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات وتفيد معرفة الإنسان بالنّص وفهمه في الوصول. إلى المحال إليه[33] و"أمّا المحال عليه فهو

([21]) محمد خطابي (1991م) لسانيات النّص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، بيروت، المغرب ، ص 17.

([22]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 121 – 122

([23]) أحمد عفيفي (د.ت) الإحالة في نحو النّص ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، ص 16

([24]) روبرت دي بوجراند ، النّص والخطاب والإجراء ، مرجع سابق ، ص 173

([25]) كلاوس برينكر (2005م) التحليل اللغوي للنّص ، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ص 42.

([26]) ابن الورّاق ، علل النّحو ، مرجع سابق ، ص 208.

([27]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص، مرجع سابق ، ص 131 – 132

([28]) المرجع السابق ، ص 133

([29]) محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مرجع سابق ، ص 18

([30]) سعيد حسن بحيري (2005م) دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ص 88

([31]) سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية وتطبيقية ، مرجع سابق ، ص 98

([32]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 127

([33]) أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو النّص مرجع سابق ، ص 16

نقطة وصول عمليّة الإحالة، وقد يكون عنصراً لغويّاً مثل : المحيل أو غير لغوي من عناصر المقام "[34].

أنواع العناصر الإشارية:

وهي: نوعان رئيسيان: عناصر إشارية لغوية، وغير لغوية.

أ) العناصر الإشارية اللغوية:

وهي قسمان: عامل وغير عامل، فالعنصر الإشاري العامل "يُذكر مرة أولى ثم يحال عليه بمضمر أو بلفظه مرة أو أكثر في غضون النّص، إذ يحكم مكوّناً أو عدداً من المكونات لأنه يفسرها"[35]. وينقسم إلى قسمين:

1/ **عنصر إشاري معجمي:** يتمثل في جميع العناصر الإشارية الواردة في النّص. التي يحال عليها.

2/ **عنصر إشاري نصّي:** وهو مقطع من نصّ يحال عليه بعنصر إحالي نصّي.

أمّا العنصر الإشاري غير العامل فهو "يذكر مرة واحدة في النّص ولا يحال عليه، إذ لا يحكم مكوّناً آخر بعده أو قبله باعتماد عامل الإحالة" ويشمل جميع المكونات الواردة من العناصر الإشارية في النّص، التي لا يحال عليها[36].مثل:إنّ العلماء قد استفادوا من كتاب علل النحو لابن الورّاق، ولكن لم يوجد من ذكره إلا أبوحيّان النحوي (745هـ)، في حدود معرفتي ، وحسب ما اطّلعت عليه من مراجع ، فقد نقل عنه في القليل النادر في كتابه (تذكرة النحاة)، لما قال:(قال ابن الورّاق: (إمّا) التي للعطف أصلها (إنّ ما) أدغمت النون في الميم...).[37]

فالعناصر الإشارية في النّص السابق هي: العلماء، كتاب علل النحو، أبوحيّان، ابن الورّاق، وقد ذُكرت هذه العناصر مرة واحدة في النّص، أما العناصر الإحالية فهي: الضمائر في استفادوا، ذكره، عنه، نقل، قال.

نلاحظ أنّ جميع المكونات الواردة من العناصر الإشارية، لا يقابلها عنصر إحالي من العناصر الإحالية.[38]

ب) العناصر الإشارية غير اللغوية:

وتجمع كل عنصر إشاري يتوفر ما يعود عليه في الملفوظ، وللمقام الحسي هاهنا دورٌ أساسي في الربط بين المضمر الوارد في النّص والمفسّر الذي يرتبط به والموجود خارج النّص، وهناك قاعدة ترتبط بالعنصر الإشاري غير اللغوي وهي: "كلّ عنصر إشاري غير لغوي يُحال عليه باسم إشارة لتعيينه أو بضمير المتكلّم أو المخاطب"[39]. مثال:حدّث أبو إسحاق عمرو بن زيادة السعدي قال:خرج أبو هريرة مشرّقاً في الأرض زمناً ثم ردّته علينا بعض قوافل الغرب ، كثير الغبار فاني العصا، فسألناه في رحلته فابتسم ، وقال: " لو كنتم عشتم في مستقبل الدهر لقرأتم، ما سيكتبه ابن بطوطة من خرافات الصبيان" وكان يقول: لقد ماتت الجهات الست". أو يقول:من ضاعت قبلته فليسر ولا يطلب شرقاً ولا غرباً ". فكأنما ضاقت به الدنيا أو وقع عليها فأفناها"[40]

فالعناصر المكونة لعالم النّص السابق هي: "ذوات مفاهيم جرى التعبير عنها في شكل أسماء مفردة أو مركبات اسمية ، تذكر باسمها الصريح عند ورودها أول مرة في النّص ونطلق عليها العناصر الإشارية ، ثم يحال على كل واحد منها عن طريق المضمرات (ضمير الشخص خاصة) كلما دعت الحاجة إلى ذكره مرّة أخرى؛ وما يعود عليها نطلق عليه العناصر الإحالية ؛ وقد لا يحال عليه تماماً فلا نجد له امتداداً في اللاحق من النّص ".[41]

([34]) محمود قدوم (2015م) نحو النّص ذي الجملة الواحدة ، (دراسات تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني، مكتبة الملك فهد – الرياض – السعودية ، ط1 ، ص93

([35]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، 127 – 128

([36]) المرجع السابق ، ص 130 – 131

([37]) ابن الورّاق، علل النحو، مرجع سابق ، ص 61

([38]) الأزهر الزنّاد، نسيج النّص، مرجع سابق ، ص128

([39]) فتحي الخوالدة (2006م) تحليل الخطاب الشعري(ثنائية الاتساق والانسجام) ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن ، ص 45

([40]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 125

([41]) المرجع السابق ، ص 126

ونعرض فيما يلي تلك العناصر:جدول العناصر الإشارية والإحالية في النّص السابق :[1]

العناصر الإشارية :	العناصر الإحالية :
1- أبو إسحاق عمرو بن زيادة السعدي	1- حدّث – قال
2- أبو هريرة	2- خرج – مشرّقاً – ردّت(ه) – كثير – فاني – سألنا(ه)–يقول...إلخ
3- بعض قوافل الغرب	3- ردّت
4- ابن بطوطة	4- يكتب
5- خرافات الصبيان	5- سيكتب(ه)
6- الجهات الست	6- ماتت
7- (من ضاعت فبلته)	7- يسر – يطلب
8- قبلة	8- ضاعت
9- الدنيا	9- ضاقت – عن(ها) – علي(ها) – أفنا(ها)
10- الأرض – زمناً – الغبار – العصا	10- ...
رحلة – مستقبل الدهر – شرقاً – غرباً	

(1) المرجع السابق ، ص 126- 127

4/ **العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه:**

وهما عنصران ضروريان و"النّص الممتلك للعناصر الإحالية بعنصرين ضروريين محال ومحال عليه، وكلاهما يمتلك نفوذاً داخل النّص، وتحديدهما موكول إلى ثقافة المتلقي، وسياق النّص".

أنواع الإحالة:

تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسيين الإحالة المقامية والإحالة النّصيّة. وتتفرع الثانية إلى إحالة قبليّة، وإحالة بعديّة[1].

وتربط العنصرين علاقة "تتّسم بالتوافق والانسجام من خلال اشتراك اللفظ المحيل والمحال إليه في مجموعة من العناصر، تلك العلاقة بعضها نحوي مثل: "إمكانية الإسناد إليه، والآخر صرفي مثل: التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية والجمع ...إلخ"[2]

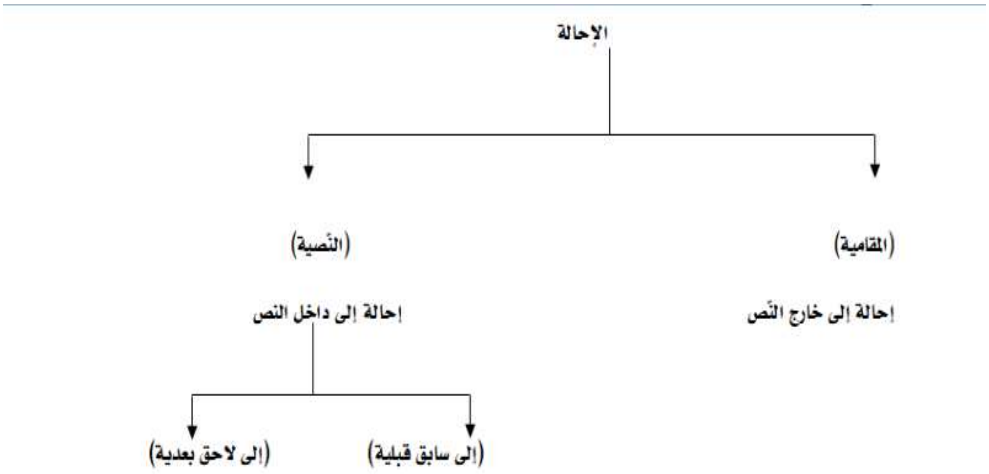

(1) هاليداي ورقية حسن ، cohesion in English ، ضمن: محمد خطابي ، لسانيات النّص، مرجع سابق ، ص 17

(2) أحمد عفيفي ، الإحالة في نحو النّص ، مرجع سابق ، ص 14

الإحالة النّصيّة:

وهي القسم الأول من أقسام الإحالة وتسمى الإحالة داخل النّص، أو داخل اللغة "الداخليّة" وهي "إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقه"[1]، وهي: " تسهم في ربط أجزاء الخطاب وأفكاره ربط تحقيق بتفسير المضمرات،

وإيضاح المبهمات عبر إرجاعها إلى عناصرها الإشارية المختزنة في ذهن المتلقي، أو المثبتة في نصّ الخطاب" وهنا لابد أن يكون للمتلقي دورٌ بارز ومهم، وهو الحكم على تماسك وترابط النّص من عدمه، "عبر إعمال ذهنه في معرفة العنصر الإشاري، واعتماد الذاكرة في استرجاع المعلومات المختزنة من الخطاب وربطها بما عوّضها من عناصر إحالية"[2]. ولذلك تُتخذ معياراً للإحالة، وتحظى بأهمية بالغة في الدراسات النّصية.

وتنقسم الإحالة النّصية إلى قسمين:

1/ إحالة قبلية:

ويُطلق عليها إحالة على سابق وتعدّ "أكثر أنواع الإحالة دوراناً في الكلام"[3] وهي :

"استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النّص أو المحادثة"[4] ، ويُطلق عليها أيضاً الإحالة بالإضمار بعد الذكر وهو "نوع من الإحالة المشتركة يأتي فيه الضمير بعد مرجعه في النّص"[5] وهذه الإحالة "إحالة أمر سبق ذكره في النّص، ومثالها عبارة (ومثلما سبق أن أشرنا)[6]

ونجد أن ابن الورّاق في تعليله النحوي"كثير الإحالة عندما تعرض له مسائل متشابهة،يحيل على ما تقدّم عرضه من المسائل ويتحاشى التكرار، وهدفه في ذلك الإيجاز والاختصار"[7]، ومن أمثلة الإحالة القبلية عند ابن الورّاق في كتابه "علل النحو" ما يأتي:

أ- قال:(إلا إن الفعل المضارع قد أشبه الاسم من وجوه قد ذكرناها في صدر الكتاب)[8].

ب- وقال: (قد بيّنا أنّ من الأسماء ما أشبه الفعل فمنع التنوين والجر، ومنها ما أشبه الحرف فاستحق البناء، ومنها ما لم يعرض له علة، فجرى بوجوه الإعراب ونوّن).[9]

ج- وقال:(فإن قال قائل: فما الذي أحوج إلى تقدير فعل مع الظروف غير الاسم المتقدم، نحو قولك: إنّ زيداً خلفك، والخلف غير زيد، وهو في موضع خبره؟ قيل له: لا يجوز أن يكون ضمير فاعله، وذلك الضمير يرجع إلى المخبر عنه، بما ذكرنا أن الخبر في الحقيقة(استقرّ)، وأنه لا بد من تقديره لما ذكرناه). [10]

وهكذا رأينا أن الإحالة فيما سبق إحالة نصيّة (قبلية) بالضمائر (ها – نا – ه)، وهي ضمائر غياب تحيل إلى سابق داخل النّص، وتجبر المتلقي على البحث عمّا يعود عليه الضمير، فقد ساهمت هذه الضمائر كما نرى في التماسك النّصي في التعليل النّحوي.

ومن أمثلة الإحالة القبلية: قول ابن الورّاق مستشهداً ومعللاً في قوله تعالى:﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[11] ، وقد قرئ بالوجهين جميعاً، وقرأ الأعرج بالرفع ، فأما الرفع: فعلى

العطف على اللفظ، وأما النصب: فبالعطف على الموضع.[12] فالضمير المتصل بلفظ (معه) (الهاء)

([1]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 118

([2]) محمود قدوم، نحو النّص ذي الجملة الواحدة ، مرجع سابق ، ص 93

([3]) سعيد حسن بحيري ، دراسات لغوية تطبيقية ، مكتبة الآداب ، ص 104

([4]) صبحي الفقي (2000م) علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء ، ص 38

([5]) روبرت دي بوجراند ، النّص والخطاب والإجراء ، مرجع سابق ، ص 301

([6]) محمد الأخضر الصبيحي (د.ت) مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،ص 90

([7]) ابن الورّاق ، علل النّحو ، مرجع سابق ، ص 75

([8]) المرجع السابق ، ص 75

([9]) المرجع السابق ، ص 249

([10]) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق، ص ، 338

([11]) سورة سبأ ، الآية 10

([12]) ابن الورّاق ، علل النّحو ، مرجع سابق ، ص 20

يعود أو يحيل إلى (داؤد) ، وكذلك الضمير المتصل بالفعل(أوّب) (ي) يحيل إلى لفظ (جبال) السابق الذكر.

هكذا نرى أنّ كل ضمير يعود على سابق له ومتعلق به ويطابقه، ومن هنا استمر النّص على قدر كبير من التماسك عن طريق هذه الإحالة المتنوعة.

2/ إحالة بعدية:

ويُطلق عليها إحالة إلى لاحق وهي: "استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة سوف تستعمل لاحقاً في النّص أو المحادثة"[13]

فهي:" تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النّص ولاحقاً عليها"[14]، و"أبرز أبواب النّحو العربي توضيحاً لها ضمير الشأن"[15] ومثالها قوله تعالى:﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[16] فالضمير "هو" وهو ضمير الشأن يحيل إلى لفظ الجلالة "الله". فاللفظ (المحيل) يشير إلى عنصر آخر (المحيل عليه) الذي استعمل لاحقاً في النّص.

ومن هذا القبيل نجد أن الإحالة البعدية وسيلة من الوسائل الأساسية في الترابط النّصي في التعليل النّحوي عند النحاة، وخاصة ابن الورّاق وهو "يحاول أن يذكر المسائل النّحوية في أبوابها ويتحاشى ذكرها في غير مواضعها يحيل إلى ما سيأتي من المسائل النّحوية"[17]

ومن أمثلة ذلك:

أ- قال: (...وسنبيّن وجه الشبه بينهما في باب الصفة).[18]

ب- وقال: (... وسنبيّن لِمَ استوى لفظ التثنية والجمع للمتكلّم في (باب الضمير).[19]

فالإحالة البعدية المذكورة آنفاً بالإشارة إلى موقع المحال عليه مثلاً:" في باب الصفة" أو "في باب الضمير" تجبر القارئ في البحث عن موقع المحال عليه المذكور لاحقاً في النّص، و"إن الربط النّصي بطريقة الإحالة إلى مذكور لاحق صالح على نحو خاص لأن يثير لدى القارئ تشوقاً، وتوقع معلومة جديدة" [20]

ومن أمثلة هذا النوع من الإحالة أيضاً: أن تستعمل بعض بدائل الصيغ الدالة على مذكور سابق محيلة إلى مذكور لاحق"[21]، مثل:(نقدّم لكم نشرة الأخبار هذه عناوينها...) أو (اتّخذ مجلس الأمن الدولي قراراً بمنع نقل السفارة الإسرائيلية من تل أبيب إلى القدس، وجاء القرار على النّحو الآتي...)، ومما تقدّم ذكره وجدنا أنّ الإحالة البعدية متعدّدة العناصر، فقد تكون ضمائر أو أسماء إشارة، أو عبارات أخرى، فهي لا تقتصر على عناصر محيلة معيّنة.

3/ الإحالة المقامية:

وهي القسم الثاني من أقسام الإحالة، وتسمى الإحالة إلى خارج النّص "الخارجية" وهي:"إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم" حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم"[22]، فهي:" الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النّص مطلقاً غير أنّه يمكن التعرّف عليه من سياق الموقف"[23]، و"وبذلك فإنّ هذا النوع من الإحالة يمكن

([13]) صبحي الفقي ، علم اللغة النّصي ، مرجع سابق ، ص 40

([14]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 119

([15]) صبحي الفقي ، علم اللغة النّصي ، مرجع سابق ، ص 40

([16]) سورة الإخلاص، الآية 1

([17]) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق ، ص 75

([18]) المرجع نفسه ، ص 75

([19]) ابن الورّاق ، علل النّحو ، مرجع سابق ، ص 263

([20]) قارن درسلر ،(1973م) ، ص 55 وما بعدها ، ضمن: كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنّص ، مرجع سابق ، ص 49.

([21]) كلاوس برينكر ، التحليل اللغوي للنّص ، مرجع سابق ، ص 47

([22]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع السابق ، ص 119

([23]) أحمد عفيفي (2001م) نحو النّص ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ص 121

أن يحدث نوعاً من التفاعل بين النّص والخطاب والموقف السياقي"[24].

ويُجدر بنا أن نشير إلى أنّ الإحالة المقامية وردت عند النحويين العرب في تعليلهم النّحوي، بالاعتماد على تصنيف الألفاظ إلى ألفاظ غير مبهمة، وهي الألفاظ التي لها دلالة وتحيل بمفردها إلى خارجها في الواقع، وألفاظ مبهمة، ولكنّك لا تعرف لها خارجاً إلا متى توفر مفسّرها، وهذا المفسّر قد يكون مقامياً وقد يكون مقالياً[25].

من أمثلة الإحالة المقامية عند النحاة قول ابن الورّاق في تعليله: إبطال عمل (إنّ ولكن) إذا دخلتها (ما): (وأعلم أنّ سيبويه لم يجز في "إنّ ولكن" العمل إذا دخلتها "ما" وأجاز ذلك أبوبكر بن السرّاج في كتاب "الأصول" وأظن ذلك سهواً منه على مذهب أصحابنا"[26]. فـ (لفظ أصحابنا)، يدلّ على محال عليه مذكور خارج النّص، ومن سياق الموقف الخارجي، نفهم أنه "يريد بأصحابنا: البصريين، فعدّ نفسه من أصحابهم"[27].

وفي تعليله (أقسام الكلام)، يقول: "إن قال قائل: من أين علمتم أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أقسام.

قيل لأنّ المعاني التي يحتاج إليها الكلام ثلاثة، وذلك أن من الكلام ما يكون خبراً ويخبر عنه، فسمى النحويون هذا النوع اسماً.

ومن الكلام ما لا يكون خبراً ولا يخبر عنه، فسمى النحويون هذا النوع فعلاً"

ومن الكلام ما لا يكون خبراً ولا يخبر عنه، فسمى النحويون هذا النوع حرفاً"[28]

ففي قوله: (قال قائل)، إشارة إلى عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، وفي قوله (قيل) تظهر وظيفة النّص الرئيسة في الإحالة المقامية، وهي وظيفة التواصلية، وهذا النّص قد حمل دلالة من المتكلم في السياق، وأدى وظيفته في التواصل بين المتكلم والمستقبل.

والنّص هنا تجسّد كوحدة دلالية في جملة واحدة.

وفي قوله:"علمتُم" إحالة مقامية فالضمير المتصل "تُم" يعود على مجموعة أشخاص موجودين خارج النّص، والإحالة هنا استخدمت أداة للتماسك النّصي بين علم اللغة النّصي والتعليل النحوي.

ومن خلال عرض أنواع الإحالة يمكن جمعها في قسمين اثنين حسب نوع المفسّر هما:

أ/ إحالة معجمية: تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسّر دالّ على ذات أو مفهوم مفرد. وهي متوفرة في كل النصوص.

ب/إحالة مقطعية أو نصية:تجمع كل الإحالات التي تعود على مفسّر هو مقطع من ملفوظ (جملة أو نصّ أو مركب نحوي) وتتوفر في نصوص دون أخرى[29]

وهكذا نرى قد تنوعت الإحالات وتعدّدت ولكن "مهما تعدّدت أنواع الإحالة فإنّها تقوم على مبدأ واحد هو الاتفاق بين العنصر الإشاري والعنصر الإحالي في المرجع"[30].

أدوات الإحالة:

أدوات الإحالة ثلاثة أنواع هي:"الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة"[31]، ويُطلق عليها "الألفاظ الكنائية"[32]، وتسمى أيضاً:"العناصر الإحالية"[33]

([24]) محمود قدوم ، نحو النّص ذي الجملة الواحدة ، مرجع سابق ، ص 93

([25]) محمد الشاوش(2001م) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية (تأسيس نحو النّص) ، جامعة منوبة ، تونس ، والمؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت ، ص 125

([26]) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق ، 16

([27]) المرجع نفسه ، ص 16

([28]) المرجع نفسه ، ص 181 وما بعدها.

([29]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 119

([30]) المرجع السابق ، ص 119

([31]) هاليداي ورقية حسن ، cohesion in English ، ضمن: محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مرجع سابق ،ص 17

([32]) روبرت دي بوجراند ، النّص والخطاب والإجراء ، مرجع سابق، ص 320.

([33]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص115 – ص116

وتتوفر في كل لغة طبيعية عناصر تمتلك خاصية الإحالة[34]. ونوردها فيما يلي:

1/الضمائر:

وهي أكثر وسائل الاتساق الإحالية وجوداً في النّصوص، فلا يخلو نصّ منها.

والضمير: "اسم جامد يدلّ على: متكلّم أو مخاطب أو غائب"[35]، وهو في العربية مصطلح بصري[36].

وتنقسم الضمائر حسب الدلالة إلى قسمين هما:

أ- وجوديّة: "**منفصلة**"، سواء للمتكلّم أم للمخاطب أو للغائب، مثل: "أنا، أنت، نحن، هو، هم، هن،...".

ب- ملكيّة:"متّصلة" وتكون أيضاً للمتكلّم أو للمخاطب أو للغائب، مثل:"كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا،..."[37]، وهذه الضمائر متّصلة بالاسم، ومنها ما هو متّصل بالفعل، مثل: كتبتُ , كتبتِ , كتبنا , ..." ومنها ما هو متّصل بالحرف، مثل:" إنّي، إنّك، إنّكم،..."[38].

وتنقسم الضمائر بالنظر إلى وظيفة الاتّساق إلى قسمين:

أ- أدوار الكلام:

وهي:"التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم، أو المخاطب،وهي إحالة لخارج النّص...، تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب "أنا، نحن" أو القارئ (القراء) بالضمائر أنت، أنتم[39] وهذه الضمائر سواء كانت للمتكلم أم المخاطب فهي تصدق على ذات خارج النّص، ولهذا لا يعُوّل عليها في عمليّة الاتّساق النّصي.

ومن أمثلة هذا النوع، يقول ابن الورّاق:" فإن قال قائل : فَلِمَ استوى لفظ المتكلّم، مؤنثاً كان أو مذكراً، وفصل مابين المخاطب والغائب؟ قيل: لأنّ المتكلم لا يختلط بغيره، فلما لم يقع فيه التباس، لم يحتج إلى فصل؛ فنقول: أنا أقوم، وإن كان مؤنثاً، وكذلك: نحن نقوم، للمذكر والمؤنث"[40].

فاستعمال ضمير المتكلم الظاهر "أنا – نحن" والمستتر في "أقوم – نقوم" يفترض وجود ذات متكلمة موجودة خارج النّص أحيل إليها بالضمير الظاهر أو المستتر هي ذات المتكلّم أو المتكلّمين.

ب-أدوار أخرى:

وهي:"التي تؤدي دوراً مهماً في اتّساق النّص" و" تندرج ضمنها ضمائر الغيبة إفراداً وتثنية وجمعاً (هو، هي، هم، هنّ، هما) وهذه الضمائر "تقوم بربط أجزاء النّص وتصل بين أقسامه" و"حين نتحدّث عن الوظيفة الاتساقية لإحالة الشخص (أي الضمير المحيل إلى الشخص أو الشيء) فإنّ صيغة الغائب هي التي نقصد على الخصوص"[41] ومعنى هذا إنّ الإحالة بـــ(ضمائر الغياب) التي تحيل إلى شيء داخل النّص (إحالة نصيّة)، هي التي يُعوّل عليها كثيراً لأنّها تؤدي إلى تماسك النّص واتّساقه.

والضمائر لها دور فعّال في التماسك النّصي في التعليل النّحوي، فمثلاً قول ابن الورّاق:" فيقوى بالتوكيد كما ذكرنا في العطف" "و" لما ذكرناه في باب الجرّ"[42] فالضمير "نا" و"هـ " أحيلا إلى شيء مذكور داخل النّص (إحالة إلى سابق)، وقوله أيضاً: (وسنبيّن)

لِمَ استوى لفظ التثنية والجمع للمتكلّم في "باب التصغير"، ففي قوله (سنبيّن) إحالة إلى شيء موجود داخل النّص، "إحالة إلى لاحق".

2/ أسماء الإشارة:

(34) محمد خطابي ، لسانيات النص ، مرجع سابق ، ص 17

(35) عباس حسن (1974م) النحو الوافي ، دار المعارف، مصر، ص 217

(36) سيبويه ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (د.ت) الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ص 78

(37) محمد خطابي ، لسانيات النص ، مرجع سابق ، ص 18

(38) محمود قدوم ، نحو النص ذي الجملة الواحدة ، مرجع سابق ، ص 95

(39) محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مرجع سابق ، ص 18

(40) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق ، ص 263

(41) محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مرجع سابق ، ص 18

(42) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق ، ص 75

هي الوسيلة الثانية من وسائل الاتساق الإحالي، وهناك إمكانيات لتصنيف أسماء الإشارة: إما حسب الظرفية: الزمان (الآن، غداً...)، والمكان (هنا، هناك...)...،أو الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو حسب البُعد (ذاك، تلك....) والقرب (هذه، هذا...)[43] و"أسماء الإشارة المكانية والزمانية وكذلك الظروف الدّالة على الاتجاه) تحدّد مواقعها في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري "فهي مثل الضمائر" لا تُفهم إلا إذا رُبطت بما تشير إليه"[44]، و"ينطبق على أسماء الإشارة ما قيل في الضمائر من إمكانية أن تكون الإحالة إلى عنصر واحد أو شخص أو شيء أو أن تكون أشياء متعدّدة أو الخطاب[45].

فأسماء الإشارة لها دورٌ مهم في الترابط النّصي في التعليل النّحوي، فهي لا تقلّ أهميّة عن الضمائر، وقد تحيل إلى عنصر مفرد شخص أو شيء أو زمن، وغيرها.

وفي هذا المنحى يقول ابن الورّاق:" وأمّا قولهم: (هذا زيدٌ حقاً، والحقُّ لا الباطل)، فاسم الإشارة "هذا" أحيل إلى مفرد (شخص) وهو (زيد)، وفي قوله "زيد حقاً" نصبت كلمة (حقاً على المصدر توكيداً)، "كأنّك قلت أحقّ الحقّ وأحقّ حقّاً"[46]، ومثل قوله تعالى:﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ "[47]، فقد أشير إلى عيسى عليه السلام باسم الإشارة للبعيد "ذلك" وفي رفع كلمة (قول) وجهان: "فالرفع من وجهين":

أحدهما: أن يكون على خبر ابتداء محذوف.

والثاني: أن يكون (قول الحق) نعتاً لـ(عيسى)، وإنّما جاز ينعت بالقول، لأنّ الله تعالى قد سماه كلمته[48].

وقد يحيل اسم الإشارة إلى شيء مثل:"هذه عصا معوجةٌ"، فالاسم المقصور (عصا) تُقدّر الحركات في آخره ويلزم وجهاً إعرابياً واحداً ولا يتغير، "لأنّ المقصور يستدلّ على إعرابه بنظيره من الصحيح، بنعته فصار، ما في النعت والنظير من علامة الإعراب يغني عن تغير آخر المقصور" ولهذا "بان الرفع في معوجة"، وكذلك لو وضعت في مكانها اسماً غير معتل، لبان الإعراب فيه نحو: هذا جملٌ"[49].

ويحيل اسم الإشارة أيضاً إلى ظرف الزمان، مثل:"هذا يوم يقوم زيد"[50]، وهنا ظرف الزمان (يوم) أضيف إلى الفعل (يقوم)، و"جاز أن تضاف ظروف الزمان إلى الفعل والفاعل" لأنّ "ظروف الزمان تقتضي الفعل، فصارت كشيء واحد من هذا الوجه، وكان الفعل أيضاً يدلّ على مصدره فقولنا: هذا يوم قيام زيد، كقولنا: هذا يوم يقوم زيد، فقد تضمّنت يوم القيامة فاعرفه"[51].

فالإحالات فيما سبق بأسماء الإشارة (هذا، ذلك، هذه)، إحالات إلى داخل النّص (نصيّة بعدية).

ويمكن أن يحيل اسم الإشارة إلى أشياء متعدّدة، فمثلاً قول ابن الورّاق: "لِمَ لقبت هذه الأقسام الثلاثة بهذه التسمية؟ فإن قال قائل: فلم خصصتم القسم الأول بتلقيبه بالاسم، والثاني بالفعل، والثالث، بالحرف؟

فالجواب في ذلك من وجهين:

أحدهما: أن غرض النحويين بهذا التلقيب الفصل بين هذه الأقسام، إذ كانت معانيها مختلفة.

والوجه الثاني: أنه يمكن أن يجعل لكل لقب معنى من أجله لقب به[52]. فالإحالة في اسم الإشارة "هذه" إحالة (نصيّة بعدية)، وفي اسم الإشارة "ذلك" إحالة (نصيّة

([43]) محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مرجع سابق ، ص 19

([44]) الأزهر الزنّاد ، نسيج النّص ، مرجع سابق ، ص 118

([45]) خليل بن ياسر البطاشي(2009م) الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن ، ص 175

([46]) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق ، ص 501

([47]) سورة مريم ، الآية 34

([48]) ابن الورّاق ، علل النحو ، مرجع سابق ، ص 502 – 503

([49]) ابن الورّاق ، علل النّحو ، مرجع سابق، ص 235

([50]) المرجع نفسه ، ص 600

([51]) المرجع نفسه ، ص 599 – 600

([52]) المرجع نفسه ، ص 185

قبلية)، ومن أمثلة الإحالة باسم الإشارة إلى أشياء متعدّدة أيضاً قوله تعالى:﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[53]

ولابدّ أن تشير إلى أنّ: أسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي"[54]، كما تشير إلى داخل النّص وإلى خارجه، فهي بذلك تساهم في تماسك النّص.

3/ **أدوات المقارنة:**

وهي النوع الثالث من وسائل الاتّساق الإحالية، ويقصد بها: "كلّ الألفاظ التي تؤدي إلى المطابقة أو المشابهة أو الاختلاف أو الإضافة إلى السابق كماً أو كيفاً أو مقارنة"[55]، وتنقسم أدوات المقارنة إلى نوعين، "عامة وخاصة"[56].

أ/ **عامة:** يتفرع منها التطابق: ويتم باستعمال عناصر مثل: نفسه، عينه، مطابق، مكافئ،....إلخ، والتشابه، وفيه تستعمل عناصر مثل: شبيه ومشابه، والاختلاف: ويكون باستعمال عناصر مثل: مخالف،مختلف، مغاير.

أمثلة المقارنة العامة:"جاءني زيد نفسه"، أخبرت أن الذي تولى المجيء هو بعينه"[57]، فقد أحيل لفظ نفسه إلى زيد ليزيل الالتباس لدى السامع أو المتلقي.

ب/ **خاصة:** تتفرع إلى كمية: وتتمّ بعناصر مثل" More" في الإنجليزية، أكثر، وكيفية: مثل:" أجمل من، جميل مثل...". ومن.

وأما المقارنة الخاصة في اللغة العربية، فتتمثل في (اسم التفضيل)، وهو "اسم مشتق على وزن أفعل يدلّ في الأغلب على أنّ شيئين اشتركا في معنى وزاد أحدهما على الآخر فيه"[58]، مثل قوله تعالى:﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [59] وهناك ألفاظ المقارنة التي تدلّ على الآخرية: ومنها، الآخر، أيضاً، البديل، وغيرها.

ونلاحظ أن أدوات المقارنة مثل أدوات الإحالة السابقة، يمكن أن تحيل إلى خارج النّص أو إلى داخله، وتتميّز بأنّها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثاً عمّا يحيل عليه المتكلّم، وهي أقلّ وجوداً في النّصوص من (الضمائر وأسماء الإشارة)، وهذا لا يمنع من أن تؤدي وظيفتها في اتّساق النّص.

وهناك أدوات أخرى مثل (الأسماء الموصولة والتعريف أو التحديد)، وكل هذه الأدوات تساعد وتساهم في التماسك النّصي في التعليل النّحوي.

الخاتمة:

عرضت هذه الدراسة قضيّة الإحالة وإسهاماتها في الترابط النّصي، بوصفها أهمّ العلاقات التي تربط العناصر اللغوية بعضها ببعض، وتعمل على تماسكها، وخاصة في كتاب علل النّحو لابن الورّاق، وقد حاولنا أن نثبت أنّ للإحالة دوراً كبيراً في خلق سمة النّصيّة، وأوضحنا بالشرح والتحليل والتمثيل كيف تسهم أنواع الإحالة المختلفة من إضمار، وإشارة ومقارنة وغيرها، في الربط بين أجزاء النّص، وقد اشتركت العناصر الإحالية (المعجميّة والنّصيّة) في إيجاد صلة بين العناصر الإشارية اللغوية الموجودة داخل النّص النّحوي، وهي إحالة(نصيّة داخلية) على متقدم أو متأخر، والعناصر غير اللغوية الموجودة خارج النّص النّحوي، وهي إحالة(مقامية). في شواهد نحويّة عديدة بحيث صار كتاب (علل النّحو) كالوحدة الواحدة.

وهكذا نرى أنّ أدوات الإحالة هي الوسائل الأكثر قوة في صنع التماسك النّصي في التعليل النّحوي وتجسيد وحدته، وهي لا تقلّ دوراً وأهمية عن بقية الوسائل، مثل التكرار والحذف.

([53]) سورة الإسراء ، الآية 36

([54]) محمد خطابي ، لسانيات النّص ، مرجع سابق ، ص 19

([55]) أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النّص ، مرجع سابق ، ص 26

([56]) محمد خطابي، لسانيات النّص ، مرجع سابق ، ص 19

([57]) ابن الورّاق، علل النحو ، مرجع سابق ، ص 531

([58]) عباس حسن، النحو الوافي ، ج3 ، مرجع سابق ، ص 395

([59]) سورة الكهف، الآية 34

ولقد بدا واضحاً الدور الذي قامت به أدوات الإحالة في إحكام بنية النّص النّحوي وتماسكها في تعليل ابن الورّاق، وهو كغيره من علماء النّحو تعامل مع التعليل النّحوي ككلّ موحّد لا كجمل متناثرة، وهو الأساس الذي تقوم عليه لسانيات النّص.

ومن خلال دراسة الإحالة توصّلت الدراسة إلى عدّة **النتائج**:

1/ إنّ أدوات الإحالة من الوسائل الأكثر قدرة على إيجاد التماسك والترابط وتحقيق الوحدة النّصيّة في التعليل النّحوي، على المستوى التركيبي والدلالي.

2/ ورد مفهوم الإحالة في التعليل النّحوي وخاصة عند ابن الورّاق من خلال التعامل مع ألفاظ معيّنة كالضمائر وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة وغيرها.

3/ برزت أهميّة الضمائر في أنّها أكثر الوسائل المؤثّرة في صنع التماسك للنّص في التعليل النّحوي، وذلك لأنّها تقرن بين الربط الرّصفي والربط المفهومي، أي بين ما هو لفظي وما هو معنوي.

4/ لم يقتصر دور أدوات الإحالة على الربط بين الجمل بعضها ببعض، أو تحقيق الترابط النّصي على مستوى كتاب علل النّحو لابن الورّاق فحسب، بل كان لها – بالإضافة إلى ذلك – دورٌ بارزٌ في التحليل والتعليل وإزالة اللبس والإبهام عن كثير من السياقات.

التوصيات:

وتوصي الدراسة بالآتي:

1/ دراسة الإحالة وأقسامها وعناصرها ، ومعرفة أدواتها ووظائفها ، وبيان أهميتها وتأثيرها في اتساق النّص النحوي ، في كتاب علل النحو لابن الورّاق.

2/ المزيد من الدراسة في معايير التماسك النّصي في كتاب علل النّحو لابن الورّاق , وربط هذه المعايير بالتعليل النّحوي، والتعمق في معانيها وتحليلها، لمعرفة دورها وأهميتها في تماسك النّص النّحوي.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1. بسّام عبد الوهّاب الجابي(1987م) مُعجم الأعلام: معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء، الجفان والجابي، للطباعة والنشر.
2. الأنباري، أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن(1998م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار الفكر العربي، مدينة النصر، القاهرة.
3. عمر رضا كحالة،(د.ت) مُعجم المؤلفين، تراجم مُصنفي الكتب العربية، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
4. الوزير جمال الدين أبي الحسن بن يوسف (1986م) إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمود أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
5. الوراق، أبوالحسن محمد بن عبدالله(2008م) علل النحو، تحقيق: محمود محمد محمود نصّار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
6. محمد محمد يونس علي(2009م) ، ورقة بحثية (الإحالة وأثرها في دلالة النّص وتماسكه) ، جامعة إدنبرا- بريطانيا، يونيو.
7. عبد الحميد بوترعة(2012م) ، ملخص ورقة بحثية (الإحالة النّصية وأثرها في تماسك النّص في القصص القرآني) ، مجلة الأثر – أشغال الملتقى الوطني حول: اللسانيات والرواية ، جامعة الوادي ، الجزائر .
8. الزهرة توهامي(2011م)، الإحالة في ضوء لسانيات النّص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، المركز الجامعي أكلي محند أولحاج ، البويرة – الجزائر .
9. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (2010م)، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت.
10. الزبيدي، السيد محمد مرتضى الحسيني(1993م) تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق: د. محمود محمد

الطنـاحي ، ج28، التـراث العربـي ، وزارة الإعـلام الكويت.
11. روبرت دي بوجراند (1998م) النّص والخطاب والإجراء ، ترجمة: د. تمّام حسّان ، عالم الكتب ، القاهرة .
12. عبد الحميد بوترعة (د.ت) مجلة الأثر ، الإحالة النّصية وأثرها في تماسك النّص في القصص القرآني .
13. الأزهر الزنّاد (1993م) نسيج النّص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّاً ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، الدار البيضاء.
14. محمد خطابي (1991م) لسانيات النّص، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت، المغرب.
15. أحمد عفيفي (د.ت) الإحالة في نحو النّص ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .
16. كلاوس برينكر (2005م) التحليل اللغوي للنّص ، ترجمة: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع
17. سعيد حسن بحيري (2005م) دراسات لغوية وتطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، مكتبة الآداب ، القاهرة.
18. محمود قدوم (2015م) نحو النّص ذي الجملة الواحدة، (دراسات تطبيقية في مجمع الأمثال للميداني، مكتبة الملك فهد ، الرياض، السعودية .
19. فتحي الخوالدة (2006م) تحليل الخطاب الشعري(ثنائية الاتساق والانسجام) ، أزمنة للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن .
20. صبحي الفقي (2000م) علم اللغة النّصي بين النظرية والتطبيق ، دار قباء .
21. أحمد عفيفي (2001م) نحو النّص ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة .
22. محمد الشاوش(2001م) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية (تأسيس نحو النّص) ، جامعة منوبة ، تونس ، والمؤسسة العربية للتوزيع ، بيروت .
23. عباس حسن (1974م) النحو الوافي ، دار المعارف، مصر .
24. سيبويه ، أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر (د.ت) الكتاب ، تحقيق: عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة.
25. خليل بن ياسر البطاشي(2009م) الترابط النّصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب ، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن.